ذلك رب العالمين

تأليف: العبد الفقير إلى الله

أحمد بن محمد رفيع

غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين



ⓗ أحمد محمد حسين رفيع، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رفيع، أحمد محمد حسين
ذلك رب العالمين./ أحمد محمد حسين رفيع - ط١.-
جدة، ١٤٤٤هـ
٤٨ ص؛ ١٢×١٧سم
ردمك: ٩-٤٢٧٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الله جل جلاله ٢- التوحيد أ- العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٤٤/٩٤٠٩

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٩٤٠٩
ردمك: ٩-٤٢٧٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م









قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا صلاح للقلب ولا فلاح إلا في الإخلاص له وتوحيد حبه، والحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالإلهية جميع مصنوعاته، من تسبح له السماوات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه، وسد دون جنته الطرق، فلم يفتح لأحدٍ إلا من طريقه[1]، أما بعد:

(١) انظر: زاد المعاد ١/ ٥.

فمن أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى الرسوخ في معرفته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: آية ١٣٦]، وذلك أعظم الغايات، وأجلّ المنن والعطايا والهبات، وأصل الدين وأشرف العلوم، قال الغزالي رحمه الله: «**فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله - عز وجل -، وهو بحر لا يدرك منتهى غوره**»[(١)].

ومعرفة الله تعالى هي روح عبودية القلب وينبوعها، قال ابن القيم رحمه الله: «**ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى لقائه، واستحيا منه، وأجله وعظمه على قدر معرفته به**»[(٢)]، ومعرفته -سبحانه- سبب سعادة القلوب، وانشراح الصدور، وأنس الأرواح،

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٥٢.
(٢) مدارج السالكين ٤/ ٢٨٤.



قال ابن تيمية رحمه الله: **«اللذة والفرحة والسرور، وطيب الوقت، والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما هو في معرفة الله - سبحانه وتعالى -»**[1].

ومن أعظم صور الجهل المعاصر الجهل بالله[2]؛ فنشأ عن ذلك الجرأة على المعاصي، والتباطؤ عن الطاعات، وهذا يدل على أن المرء «لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني؛ إذ لو عرف الله حق معرفته؛ لخشيه واتقاه، فلا يتصور أن يعرف الأسدَ عاقلٌ ثم لا يتقيه ولا يخافه»[3].

إذا تقرر هذا فاعلم - رحمك الله - بأن معرفة الله تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، والقسم الثاني: معرفة

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣١.
(٢) انظر: عتبات العبودية، ص١١٦.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٨٩.



توجب الحياء منه، والمحبة له، وهذه المعرفة تتحصل بالتفكر والتأمل في آيات القرآن، وآيات الله الكونية، وجماع الأمر الفقه في معاني أسمائه الحسنى"[1]. وقد رجوت بهذا الكتاب إصلاح قلبي وقلبك في طريق السير إلى الله تعالى، أسأله - سبحانه - أن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يكون ذخراً وزلفى يوم لقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) انظر: الفوائد ١/ ٢٤٨.





﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: آية ٦٧]، وجاء في الحديث: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض**»[١].

سبحان الذي أثنى على نفسه فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

(١) أخرجه البخاري ٩/ ١١٦.

يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: الآيات ٢٢-٢٤]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ﴾ [النور: الآية ٣٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

[سورة الإخلاص].

تأمل خضوع المخلوقات له - سبحانه -: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٣]، وقال





تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: الآية ١٨]، وجاء في الحديث: «**مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحِلْس البالي من خشية الله -عز وجل-**»[(١)]، وجاء في الحديث: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كالسلسلة على صفوان**»[(٢)]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: الآية ٢٣]، وقال

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٦٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٠٢١.
(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٨٠.



تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: الآية ١٩-٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [الأنبياء: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: الآية ٣٨].

وتأمل في كمال علمه -سبحانه-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: الآية ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: الآية ٦١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: الآية ٣٤]، وجاء في حديث موسى والخضر: «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٦/ ٨٨.



وتأمل في عظمة كلامه -سبحانه-: قال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: آية ٨٨]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: الآية ٢١]، وقال تعالى: ﴿ذلك ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: الآية ٢]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن



رَبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: الآية ٥٧]، وقال تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [فصلت: الآية ٤١-٤٢]، وقال تعالى:﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزمل: الآية ٥]، وقال تعالى:﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الرعد: الآية ٣١] أي:(لكان هذا القرآن)[1]، وقال تعالى:﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية ٢٣].

وتأمل في كمال قدرته – جل جلاله –: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤١٨.



بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فصلت: الآية ٩-١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ





مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: الآية ١٢-١٤]، وقال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ

يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٥٨-٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: الآية ٥٩-٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ





أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]، وجاء في الحديث: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[(١)].

وشأن العظيم أن يوحَّد في العبادة لا أن يشرك به

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٩٤.



قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ

عَلِيمٌ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٥-١٠٢]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ١-٣].

كلما امتلأ قلبك بهذه المعاني؛ فوضت أمورك له -سبحانه-، كتفويض الابن العاجز أموره إلى أبيه،



فهو يرى أن تدبيره له خير من تدبيره لنفسه[1]، وكلما ازداد العبد معرفة بعظمة ربه؛ ازداد تعظيماً له، ورأى نفسه بمشهد «العجز والضعف، وأنه أعجز شيء عن حفظ نفسه وأضعف، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بربه، فيشهد قلبَه كريشة ملقاة بأرض فلاة، تسيرها الرياح يميناً وشمالاً، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر، تهيج بها الرياح وتتلاعب بها الأمواج، ترفعها تارة وتخفضها أخرى»[2]، ورأى نفسه بمشهد «الذل والانكسار والخضوع والافتقار للرب - جل جلاله -، فيشهد في كل ذرة من ذراته، الباطنة والظاهرة، ضرورة تامة، وافتقاراً تاماً إلى ربه ووليه، ومن بيده صلاحه وفلاحه، وهداه وسعادته، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٣٩٧.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٥.





العبارة حقيقتها، وإنما تدرك بالحصول، فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء»[1].

وإياك ثم إياك من عصيان العظيم - جل جلاله - قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: آية ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج: آية ١٢]، وهو ﴿قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢﴾ [الأنفال: آية ٥٢]، وهو ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩﴾ [آل عمران: آية ١٩]، وهو ﴿أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝٨٤﴾ [النساء: آية ٨٤]، وأخذه ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود: آية ١٠٢]، وعذابه ﴿هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: آية ٥٠] اللهم املأ قلوبنا تعظيماً وإجلالاً وخشيةً لك..

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٧.





﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾

معرفة الله تعالى تثمر محبته، قال الغزالي رحمه الله: «**المقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى؛ حتى تثمر المعرفة المحبة**»[1]. وقال ابن القيم رحمه الله: «**ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ أحبه لا محالة**»[2]. وهذه المحبة تنشأ من مطالعة المنن والإحسان، ورؤية النعم والآلاء، وكلما سافر القلب بفكره فيها؛ ازدادت محبته وتأكدت. والله -سبحانه- دعا عباده إليه من هذا الباب، حتى إذا دخلوا منه دعوا من الباب الآخر، وهو باب الأسماء والصفات، الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٦٦.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٥٩٤.

داعي الكمال والجمال؛ لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها"[1].

تأمل في نعمه - سبحانه - ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ

---

(١) انظر: طريق الهجرتين ٢/ ٦٩٠.



إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم: الآية ٣٢-٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾[الواقعة: الآية ٦٣-٧٢]، وقال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ





لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى
ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ
لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ
﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ
وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا
ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: الآية ٥-١٨]. وكلما «طالع العبد منته - سبحانه - قبل الذنب، وفي حال مواقعة الذنب، وبعد الذنب، وبره به وحلمه عنه، وإحسانه إليه؛ هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق إلى لقائه، فإن القلوب مجبولةٌ على حب من أحسن إليها، وأي إحسان أعظم من إحسان من يبارزه العبد بالمعاصي وهو يمده بنعمه، ويعامله بألطافه، ويسبل عليه ستره»[1].

وتأمل في رحمة أرحم الراحمين ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) مدارج السالكين ٢/ ٥٣.





﴿ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: الآية ٢٦-٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: الآية ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: الآية ٥٣]. وجاء في الحديث: «إن



الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[١]. وجاء في الحديث: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها. وأخّر الله تسعا وتسعين رحمة؛ يرحم بها عباده يوم القيامة»[٢]. وجاء في الحديث: «قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلُب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على ألا

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٨.
(٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٠٨.





تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

وجاء في الحديث: «**إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[2].

فإذا أحب العبد ربه فإنه يشرع «أولاً في التقربات بالأعمال الظاهرة، وهي ظاهر التقرب، ثم يترقى من ذلك إلى حال التقرب، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكليته، بروحه وقلبه، وعقله وبدنه، ثم يترقى من ذلك إلى مقام الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، فيتقرب إليه حينئذ بأعمال القلوب؛ من المحبة والإنابة والتعظيم والإجلال والخشية، فينبعث حينئذ من باطنه الجود ببذل الروح والموجود في محبة حبيبه بلا تكلف؛ فيجود بروحه ونفسه وأنفاسه وإراداته وأعماله لحبيبه حالاً لا تكلفاً»[3]، ويجتمع

---

(١) أخرجه البخاري، واللفظ له ٨/ ٨، وأخرجه مسلم ٤/ ٢١٠٩.
(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له ٩/ ١٢٥، وأخرجه مسلم ٤/ ٢١٠٨.
(٣) مدارج السالكين ٤/ ١٧٩.



قلبه «وهمه وسره على محبوبه ومراضيه ومراده منه، فهو عكوف القلب بكليته على الله، لا يلتفت عنه يمنة ولا يسرة، فإذا ذاقت الهمة طعم هذا الجمع؛ اتصل اشتياق صاحبها، وتأججت نيران المحبة والطلب في قلبه»[1]، ولا بد من اقتران المحبة بالتعظيم؛ حتى تثمر ترك المعاصي، قال ابن القيم رحمه الله: «**يفتش العبد قلبه فيرى نوع محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسبب ذلك تجردها عن الإجلال والتعظيم، فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه**»[2].

ففتش في محبوباتك، هل الله – سبحانه – هو أعظم محبوب في قلبك؟ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا

(١) مدارج السالكين ٣/ ٥٠٠.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٩٠.





﴿وَتِجَـٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: الآية ٢٤]. قال ابن تيمية رحمه الله: «**يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله**»[1]. وأمارة صدق محبتك لله اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١]، وبهذا سيذوق العبد حلاوة الإيمان «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[2].

فهذا مشروع عمر لك أن تترقى فتصير محبوبات ربك هي محبوباتك، فلا يبقى لنفسك من نفسك

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٨.
(٢) أخرجه البخاري ١/ ١٢.



شيء إذ أنت عبد له حقيقة ظاهراً وباطناً، ويكون همك وشغلك الشاغل كيف أرضي محبوبي الأعظم في هذا الوقت بأحب الأعمال إليه، وهذا هو صاحب التعبد المطلق الذي «ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تعبده عليها»[1]. وحينئذ يصل العبد إلى «مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقائه، والابتهاج والفرح والسرور به؛ فتقر به عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وإرادة التقرب إليه ومرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي، قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج

(١) مدارج السالكين ١/ ١٣٦.



لسانه بذكره، وانقادت الجوارح لطاعته، فإن هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه»[1]، وهذا أمر لا يصفه لسان، ولا يرسمه بنان، و «لا يعرفه إلا خواص المحبين، الذين يستقلون في حق محبوبهم جميع أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم، فلا يرونها قط إلا بعين النقص والإزراء عليها، ويرون شأن محبوبهم أعظم وقدره أعلى من أن يرضوا نفوسهم وأعمالهم له»[2].

ومتى ما تمكنت محبة الله في القلب وأُشربها؛ ظهرت آثارها على الجوارح، من الجدّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، وخروج الدنيا من القلب،

(١) مدارج السالكين ٢/ ٥١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤١٦.



وإيثار الله على كل من سواه"[1]، فكيف لا تحبه بعد هذا، ويذوب قلبك ويتفطر للقائه ورؤيته شوقا ووجدا «لما علم الله – سبحانه – أن قلوب المشتاقين إليه لا تهدأ إلا بلقائه؛ ضرب لهم أجلا للقاء؛ سكنا لقلوبهم، فقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ﴾ [العنكبوت: الآية ٥]»"[2].

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، واجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ووالدينا والناس أجمعين..

(١) انظر: التسهيل ١/ ١٠٦.
(٢) روضة المحبين ص٥٨٩.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

القلب هو محل نظر الرب - جل جلاله - «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[(١)]، وبصلاحه يصلح الجسد «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[(٢)]، ولذا كانت عبوديته «أعظم من عبودية الجوارح وأكبر وأدوم؛ فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٨٧.
(٢) أخرجه البخاري ١/ ٢٠، ومسلم ٣/ ١٢١٩.
(٣) بدائع الفوائد ٣/ ١١٤٣.



والقلب بطبيعته لا بد له من متعلق يتعلق به، فإذا لم يتعلق بالله؛ بقي مضطربا لا يسكّنه شيء، قال ابن القيم رحمه الله: «**في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه**»[1]. وأصل صلاحه قراءة القرآن بالتفكر، قال ابن القيم رحمه الله: «**قراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب**»[2]. وهذا القلب الذي بين جنبيك لا تملك منه شيئاً ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: الآية ٢٤]، وهو كثير التقلب «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد،**

(١) مدارج السالكين ٤/ ١٧.
(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٣٦.





يصرفه حيث يشاء»[1]، وهو وعاء العلم ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [البقرة: الآية ٩٧]، واطمئنانه بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: الآية ٢٨]، وهو محل التعقل ﴿فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: الآية ٤٦]، والإخبات ﴿فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج: الآية ٥٤]، والإنابة ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق: الآية ٣٣]، والتثبيت ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ [الأنفال: الآية ١١]، والوجل ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: الآية ٢]، والسكينة ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: الآية ٤]، والتمحيص ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٤]، وفيه يقرّ الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٤٥.



وهو في المقابل محل الزيغ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: الآية ٨]، والنفاق ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٧٧]، والغفلة ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]، واللهو ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ٣]، والعمى ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: الآية ٧٧]، والحسرة ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٦]، والخوف ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: الآية ٢]، والغل ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: الآية ١٠]، وقد يتراكم عليه الران ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: الآية ١٤]؛ فيسودّ «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها؛ نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها؛ نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على



قلبين: على أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه»[1]، ويمرض ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: الآية ١٠]، ويقسو ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: الآية ١٠]، ويختم عليه ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ٧]، ويطبع عليه ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٠]؛ فلا يفقه وحي الله، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: الآية ٤٦]؛ وحينئذ سيشمئز من ذكر الله ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر: الآية ٤٥]، ولذا كان حال

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ١٢٨

هذا القلب يوم القيامة ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨﴾ [النازعات: الآية ٨] ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ [غافر: الآية ١٨]، وجزاؤه نار كفيلة بإذابته والعياذ بالله ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾ [الهمزة: الآية ٦-٧].

فالقلوب ثلاثة: قلب خالٍ من الإيمان، فذلك قلب مظلم القلب، الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، لكن عليه ظلمة الشهوات، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، الثالث: قلب محشو بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، لو دنا منه الوسواس احترق به"[1].

فمن اكتحلت بصيرته بذلك، علم بأن «صلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له،

(١) انظر: الوابل الصيب ص٥٣.





من معرفة الله ومحبته وتعظيمه، وفساده في ضد ذلك، فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط»[1]، وذلك «مما يتباين الناس فيه، ويتفاضلون تفاضلاً عظيماً، ويقوى ذلك كلما ازداد العبد تدبراً للقرآن، وفهماً ومعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته»[2]، فإذا شاهد القلب «قيوماً قاهراً فوق عباده، مستوياً على عرشه، منفرداً بتدبير مملكته، آمراً ناهياً، مرسلاً رسله، ومنزلاً كتبه، يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحب ويبغض، يرحم إذا استرحم، ويغفر إذا استغفر، ويعطي إذا سئل، ويجيب إذا دعي، ويقيل إذا استقيل، أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل شيء، وأقدر من كل شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم

(١) الفتاوى الكبرى ١/ ٩٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٦٠٦.

من كل شيء... ومن هذا شاهده؛ فله سلوك وسير خاص، ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة أو معرفة مجملة، فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد وهم في واد»[(١)]، وهناك «يسير القلب إلى ربه أسرع من سير الرياح من مهابها، فلا يلتفت في طريقه يميناً ولا شمالاً»[(٢)].

ولن تحل معرفة الله تعالى في القلب حتى يرتحل ما سوى الله تعالى عنه[(٣)]؛ فحجب القلب عشرة: حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات، الثاني: حجاب الشرك، الثالث: حجاب البدعة القولية، الرابع: حجاب البدعة العملية، الخامس:

---

(١) مدارج السالكين ٤/ ١٥١.
(٢) المصدر السابق ٤/ ١٤٧.
(٣) انظر: إحياء علوم الدين ١/ ١٢٦.



حجاب أهل الكبائر الباطنة، السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة، السابع: حجاب أهل الصغائر، الثامن: حجاب أهل التوسع في المباحات، التاسع: حجاب أهل الغفلة، العاشر: حجاب المجتهدين من السالكين المشمرين في السير عن المقصود[١].
وإذا تكاثفت هذه الحجب صار القلب «كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ؛ فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والإنس به، والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك»[٢].

وعلى قدر المعرفة بالله ستكون عبودية القلب، فمقصود «الأعمال كلها، ظاهرها وباطنها، إنما هو صلاح القلب وكماله، وقيامه بالعبودية»[٣]، والعابد

(١) انظر: مدارج السالكين ٤/ ١١١.
(٢) الداء والدواء ص٤٢١.
(٣) بدائع الفوائد ٣/ ١١٤٧.



حقا هو الذي «جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه ونصب عينه، يؤمها أين كانت، ويسير معها حيث سارت، قد ضرب مع كل فريق بسهم، فأين كانت العبودية وجدته هناك»[1]، فإذا «وضع أحدهم جنبه على مضجعه، صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه، متذكراً صفاته العلى وأسماءه الحسنى، مشاهداً له في أسمائه وصفاته، قد تجلت على قلبه أنوارها؛ فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحبيبه، فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته. فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء»[2].

(١) طريق الهجرتين ١/ ٣٨٨.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤٥٠.



فإذا عرف القلب ربه؛ داوم على الافتقار إليه - سبحانه - في كل حال، وشهد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقةً تامةً إلى الله تعالى من كل وجه[(١)]، «فلا يرى لنفسه حالًا، ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلةً منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كَسر الفقر والمسكنة قلبه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع»[(٢)]، وإكسير ذلك «ألا تكون لنفسك، ولا يكون لها منك شيء، بحيث يكون كلك لله»[(٣)] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٦٢]، وعندها لا يقنع العبد «بأمر يسكن إليه

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٣٤.
(٢) الوابل الصيب ص١٢.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٢٣٣.

دون الله، ولا يفرح بما حصل له دون الله، ولا يأسى على ما فاته سوى الله، ولا يستغني برتبة شريفة وإن عظمت عنده أو عند الناس، فلا يستغني إلا بالله، ولا يفتقر إلا إلى الله، ولا يفرح إلا بموافقته لمرضاة الله، ولا يحزن إلا على ما فاته من الله، ولا يخاف إلا من سقوطه من عين الله واحتجاب الله عنه، فكله بالله، وكله لله، وكله مع الله، وسيره دائما إلى الله»[1]؛ فعندها يرزق سلامة القلب وينجو ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: الآية ٨٨]، وذلك بتجرده من أي شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر، أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض القدر والشرع[2].



(١) مدارج السالكين ٢/ ١٢٢.
(٢) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٣٨.



الخاتمـــة

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر: الآية ٥٤-٥٦].

قال ابن القيم: «**فيا عجبا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال! تسمع آيات الله تتلى عليها، ويذكر الرب - تبارك وتعالى -، فلا تلين ولا تخشع، ولا تنيب، فليس بمستنكر لله -عز وجل-، ولا يخالف حكمته، أن يخلق لها ناراً تذيبها، إذ لم تلن لكلامه وذكره وزواجره ومواعظه، فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه، ولم ينب**

إليه، ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلاً، فإن أمامه الملين الأعظم»[1].

اللهم أنت الغني ونحن الفقراء، وأنت القوي ونحن الضعفاء، وأنت الكريم ونحن البخلاء، وأنت العظيم ونحن الأذلاء، وأنت العليم ونحن الجهلاء، يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، يا من ليس معه رب يدعى، ولا وزير يؤتى، ولا حاجب يرشى، يا من ترفع إليه الحاجات والشكوى، ويعلم السر وأخفى، يا محب التائبين، يا جابر المنكسرين، يا واصل المنقطعين، يا أنيس العابدين، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، يا مجيب دعوة المضطرين..

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٦٢٩.



يا من يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المعد لكل ما يُتوقع

يا من يُرجّى للشدائد كلها
يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن
أمنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك ربي أضرع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشى لمجدك أن يقنط عاصيا
الفضل أجزل والمواهب أوسع[1]

---

(١) الوافي بالوفيات ١٨/ ١٠٢.

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وما قدرناك حق قدرك، ولا شكرناك حق شكرك، اللهم أنخنا مطايانا بابك، ولُذْنا بجنابك، نسألك مسألة المسكين، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وندعوك دعاء من خضعت لك رقبته، وخشع لك قلبه، وفاضت لك عيناه، ورغم لك أنفه، اللهم ارزقنا حلاوة معرفتك، ولذة مناجاتك، والأنس بك، والشوق إليك، وحسن عبادتك، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك، سبحانك اللهم لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

*****



الفهرس

